تفاصيل ليلة احتراق البرلمان

obeikan.com

obeikan.com

كانت الأمور تسير بصورة طبيعية وروتينية ،موظفو الشوري والشعب انصرفوا كالمعتاد الساعة الثالثة أو أقل .

عمال الصيانة يواصلون عملهم الذي اعتادوا عليه في صيف كل دورة برلمانية ، وحرس المجلسين يتبادلون تسليم الورديات ،وفي الساعة الخامسة بدأت رائحة الشياط تفوح من بين جدران مبني الري بمجلس الشعب وبسرعة شديدة بدأت أعمدة من الدخان الكثيف تتصاعد من المبني الملاصق لمجلس الشوري وبسرعة أكبر أخذت النيران تنتشر في جميع أجزاء مبني الري لتلتهم جميع اللجان الموجودة بالمبني ومن بينها لجان الشئون الخارجية والدفاع والأمن القومي والزراعة والثقافة والنقل وحقوق الإنسان ، «بدأ الحريق صغيرا جدا في مبني الري ثم تصاعد بسرعة كبيرة ووصل بعد ذلك إلى مجلس الشوري ».

فور علمه بالحريق سارع المستشار فرج الدري الأمين العام للمجلس بإبلاغ أجهزة الأمن والمطافي للتحرك ،حاولت وحدة الدفاع المدني الموجودة في المجلس التصدي للنيران إلا أنها لم تستطع مقاومتها فتم إبلاغ مطافيء القاهرة والجيزة وبدأت وحدات من المطافي تتحرك من كل مكان ،كانت كل دقيقة تمر بدون السيطرة علي الحريق تعني زيادة الخطر ،حاولت العشرات من سيارات الإطفاء التصدي للحريق لم تفلح وانتقلت النيران إلى مجلس الشوري والتهمت الدور الثالث بالكامل ساعدها علي ذلك أن كل مكونات المجلس من الخشب أرضيات باركيه وسقف خشبي مصقل بمواد تساعد علي الاشتعال ،بدأ الخبر ينتشر تجمع الناس حول مجلسي الشعب والشوري لمشاهدة السنة اللهب المتصاعدة ،أمسك معظمهم تليفوناتهم المحمولة واخذوا يصوروا المشهد المهيب.

سارينات سيارات المطافي لم تفلح في فتح الطرق أمامها في شارع القصر العيني المزدحم ،كان أول من حضر إلى مجلس الشعب من نواب الوطني المهندس أحمد عز

أمين التنظيم بالحزب وبعدها توالي حضور نواب من الوطني والمعارضة فحضر بدر القاضي ومصطفي الكتاتني وكيل لجنة الصحة ،وثلاثة من نواب الإخوان ،وحضر من الساحل الشمالي رأسا الي مجلس الشعب الدكتور فتحي سرور رئيس المجلس الذي جاء بلا رابطة عنق وبدت عليه أثار المصيف وكان أول من ابلغه بالحادث أمين عام المجلس نفس الأمر تكرر مع صفوت الشريف الذي جاء من الإسكندرية ولم يجد مكانا في مجلسه بعد أن أكلته النيران فذهب إلى مجلس الشعب وحاول هو وسرور أن يستطلعا الموقف ولم يستطيعا الجلوس في مكتب سرور الرئيسي الموجود بجوار قاعة مجلس الشعب بسبب اقتراب النيران منه فتم اصطحابهما إلى مبني العمارة التابع لمجلس الشعب ووصلا هناك بصعوبة بعد أن أغرقت مياه المطافي طرقات المجلس ،ومع ازدياد خطورة الموقف تمت الاستعانة بالقوات المسلحة وسيارات إطفاء تابعة لوزارة البترول وحينما شاهد المئات من المواطنين الذي تجمعوا حول البرلمان سيارات للجيش بجوار مجلس الشوري اخذوا يصفقون بحرارة وتزايدت تلعيقات المواطنين مع ازدياد الحريق وعدم قدرة أجهزة الدفاع المدني في السيطرة عليه فمنهم من قال أن الحكومة ستقوم برفع الأسعار ثانية لتعويض هذه الخسائر ومنهم من قال هذه رسالة حتي تعرف الحكومة أن هناك نار في الآخرة في انتظار وزراءها ،وبدأت كرات من اللهب تتطاير في أنحاء مختلفة من المجلس وشعر أهالي البيوت المجاورة للمجلس بالخطر فصعدوا إلى أسطح منازلهم ومعهم خراطيم مياه لإطفاء أي كرة لهب تصل إلى بيوتهم ،نواب الإخوان من جانبهم سارعوا إلى المجلس احدهم قال للشروق انه وصلته معلومة أن الحريق بدأ من المبني الذي رممه ممدوح إسماعيل صاحب العبارة السلام ٩٨ علي نفقته الخاصة وعلق قائلا: «شوف حكمة ربنا »،بينما تساءل النائب عيد حامد: «أين هي أجهزة الإطفاء الخاصة بالمجلس والتي يتم تجريبها كل فترة ولماذا لم يتم استخدامها في

إطفاء الحريق في بدايته ورد عليه زميله في الكتلة البرلمانية للإخوان حازم فاروق مؤكدا انه شاهد عمال المطافي وهم لا يعرفون كيف يستخدموا أجهزة إطفاء المنتشرة في المجلس ،ومع تطاير الأوراق المشتعلة في الهواء بدء المارة يتندرون قائلين هذه أوراق التعيينات ،وكانت هناك حالة لا مبالاة تسيطر علي كثير من الواقفين وحالة شماته تسيطر علي آخرين .

وقال النائب الإخواني تيمور عبد الغني أن المطافي حينما حضرت سالوا عن خريطة للمجلسين لتساعدهم علي أداء عملهم ولم يجدوا .

وانتقد نواب الإخوان بدائية الأساليب التي تم التعامل مع الحريق من خلالها ، في حين أدت حالة الارتباك التي سيطرت علي كثير من جنود المطافي ومنها عدم قدرة سائقي هذه السيارات علي الدخول إلى مبني البرلمان بسبب كبر حجم السيارة إلى اصطدام الكثير من السيارات ببوابات المجلس وهو ما جعل البعض يتندر قائلا «عساكر المطافي عاملين زي إسماعيل ياسين ».

بعد أن قضت النيران علي مبني الري التابع لمجلس الشعب بكامله بما فيه من لجان وغرفة والصحافة وغيرها وانتقلت إلى مجلس الشوري ومع تصاعد النيران وزيادة كمية مياه الإطفاء المستخدمة انهار سقف الدور الثالث للمجلس ثم انهار سقف الدور الثاني ولم يعد في المجلس سوي جدران والقاعة الرئيسية التي وصلتها النيران صباح أمس وانهار أحد جوانبها .

كانت النيران في طريقها إلى البنك الموجود في المجلس ولا يعرف أحد علي وجه التحديد إذا ما كانت قد وصلت إليه أم لا ،وتساءل البعض ومن بينهم نواب ما سبب زيادة الرياح في وقت احتراق المجلس مع أن الجو شديد الحرارة ؟ورد البعض «دي حكمة ربنا ».

وحضر عدد كبير من موظفي مجلس الشوري والشعب لمعرفة ما حدث

وللاطمئنان علي متعلقاتهم الموجودة في الداخل ومنعتهم قوات الأمن من الدخول «يقول أحمد الطاهر باحث في اللجنة الثقافية بمجلس الشوري أنه ترك اللاب توب الخاص به في مكتبه بالإضافة إلى خمسة آلاف جنيه كان قد تركهم في درج المكتب ولم يجد الطاهر شيئا يقوله سوي «العوض علي الله ».

سألنا محمد فريد خميس رئيس لجنة الصناعة بمجلس الشوري والذي بقي في المكان إلى وقت متأخر من ليلة حريق البرلمان عن تقارير اللجان وتوصياتها وقرارات المجلس ودراساته وكل أوراقه الخاصة بمشاريع القوانين والمضبطة وغيرها فقال «كل هذه الأوراق محفوظة علي ميكروفيلم وموجود منها نسخ ثانية لدي عدة جهات ،وأشار إلى أن الرئيس مبارك تابع مع صفوت الشريف تطورات الحادث أولا بأول وقال انه تم الاتفاق مع شركة المقاولين العرب للبدء فورا في إعادة بناء المجلس وترميمه ،وبعد أن غادرت كاميرات الفضائيات من أمام البرلمان بدء الناس ينصرفون شيئا فشيئا إلا أن العشرات ظلوا واقفين حتي الساعات الأولي من صباح أمس واستمرت النيران مشتعلة حتي الصباح .

وبهذا الحريق تكون مصر قد فقدت واحدا من أهم مبانيها التاريخية بالإضافة إلى فقدان المئات من الوثائق التاريخية والآلاف من الأوراق الهامة والدراسات وتقارير اللجان والجلسات .

أسئلة مشروعة حول الحريق

مع انه لم يتم الإعلان رسميا عن الأسباب الحقيقية للحريق الذي نشب بالبرلمان المصري بغرفتيه الشوري والشعب والذي وقع في أغسطس ٢٠٠٨ وأدي إلى تدمير مجلس الشوري بالكامل بالإضافة إلى تدمير ما يقرب من ثلث مجلس الشعب ، إلا أن هناك العشرات من الأسئلة وعلامات الاستفهام التي تطرح نفسها في هذا الموقف الحرج الذي تعرضت له المؤسسة التشريعية المصرية ،وأولي هذه التساؤلات

المشروعة هو كيف احترق البرلمان بهذا الشكل وهذه الصورة المفجعة والمحزنة والمخزية؟ ،وكيف استطاعت النيران بكل بساطة ويسر أن تلتهم مجلس الشوري بكامله بكل ما يعنيه هذا المجلس من قيمة تاريخية وأثرية ونيابية كبيرة؟ ،كيف تستمر النيران مشتعلة لمدة تزيد عن العشرين ساعة في ثاني أهم مبني في الدولة بعد قصر الرئاسة ،ألف كيف وألف هل لا تجد إجابة .

من الممكن أن يندلع حريق في أي مكان في العالم بما فيه البيت الأبيض والكونجرس وحتي البنتاجون نتيجة لأي سبب من الأسباب،ولكن الغير ممكن والغير منطقي أن تترك النيران تلتهم مثل هذه المباني بكل ما فيها من مستندات ووثائق ومخطوطات ونادرة بكل ما يحتويه جدرانها من قيمة تاريخية بكل ما تحتويه طرقاتها ومبانيها من قيمة أثرية بكل ما يعنيه وجودها في الأساس أنها رمز من رموز الدولة فلا يمكن أن يتخيل أن هناك دولة بلا برلمان وحينما يحترق البرلمان بهذه السهولة فان ذلك معناه أن الدولة بالكامل يمكن أن تحترق بسهولة مماثلة.

فالصور التي بثتها وكالات الأنباء والفضائيات لحريق مجلس الشوري تعكس مدي التخبط الذي تعيشه أجهزة الدولة في التعامل مع الكوارث والأزمات خاصة إذا كانت الأزمة بحجم حريق البرلمان وهو حريق يعيد إلى الأذهان حريق القاهرة بكل ما يحمله حريق القاهرة من معاني ودلائل وإسقاطات،ومن الواضح أن علم إدارة الأزمات ليس له مكان بين حكومة الدكتور أحمد نظيف الذي تعددت الكوارث في عهده دون أن يكون هناك أي استفادة من كل مصيبة سابقة ،فحينما غرقت عبارة السلام ٩٨ وهرب صاحبها إلى الخارج بعد أن تسبب في مقتل ما يزيد عن ألف مصري قلنا أن حكومة نظيف سترحل أو ستصحح أوضاعها فلم يحدث وتكررت الأخطاء وتوالت فمنذ أسابيع هلت علينا كارثة قطار مطروح والتي راح ضحيتها ما يزيد عن ٤٣ قتيل وقبل ذلك كله كان حريق قصر ثقافة بني سويف

وغيرها من المصائب والكوارث التي لم تتعلم منها الحكومة ،فلا تعرف حكومة نظيف كيف تدير أزمة ولا تعرف كيف تسيطر علي حريق ولا تعرف كيف تسيطر حتي علي مزلقان قطار ،ولكن كل المصائب كوم وحريق مجلس الشوري وثلث مجلس الشعب كوم تاني ،احتراق البرلمان لا يمكن أن يكون كأي حدث آخر ، احتراق السلطة التشريعية والنيابية لا يمكن أن يكون مثل أي مصيبة أخرى .

نعلم يقينا أن حكومة نظيف لن تقال ولن تستقيل ولن يستقيل واحدا منها لان ثقافة الاستقالة منعدمة،ولكن يجب إلا يمر الأمر دون حساب

ولا يمكن أن يكون المتهم الرئيسي هو الماس الكهربائي الذي دائما ما نعلق عليه شماعة كل المصائب ،أين الإهمال الحكومي في التعامل مع الكارثة ،كيف بدا الحريق صغيرا في احد مكاتب مجلس الشوري أو الشعب ثم استمر حتي حرق هذا المكتب أو هذه الغرفة ثم انتقل بعدها إلى غرفة ثانية وثالثة وعاشرة إلى أن التهم المجلس بكامله وانتقل إلى المجلس الآخر ،حتي لو بدأ الحريق كبيرا أين هي أجهزة الإطفاء الخاصة بالمجلس أين هي أجهزة الإنذار أين حراسة المجلس أنا كنت نائبة في البرلمان وأعرف أن حراسته ٢٤ ساعة ومع ذلك فالحريق لم يبدأ في الثالثة أو الرابعة فجرا وإنما بدأ في الخامسة عصرا أين هم حرس المجلس ألم يروا الحريق ألم يشموا رائحة الشياط وماذا بعد أن شاهدوه ماذا فعلوا هل قاموا بتشغيل أنظمة الإطفاء الموجودة في المجلس وإذا كانت هي أجهزة للديكور فقط فلماذا لم تحضر المطافي إلا بعد ما يزيد عن ساعة ،وماذا فعلت المطافي بعد أن حضرت هل استخدمت أساليب حديثة في الإطفاء أم أنها استخدمت كالمعتاد خراطيم ومياه حتي بعد أن وصل الحريق إلى عنان السماء ،وإذا كانت كل فرق المطافي التي حضرت لم تستطع السيطرة علي الحريق فماذا لو امتد الحريق إلى مباني مجاورة هل كانت القاهرة على موعد مع حريق جديد ،كيف فشلت أكثر من ٨٠ سيارة إسعاف وثلاثة طائرات هليكوبتر أن

تسيطر علي الحريق ،هل كان الحرق بمنتهي القوة أم أن الإهمال كان بمنتهي القوة ،هل لو كان عساكر المطافي مدربين علي استخدام أجهزة الإطفاء لكان الدمار بهذا الحجم ، هل لو أن سائقي سيارات المطافي يجيدون قيادة هذه السيارات لوصل الحال إلى ما وصل إليه ،هل لو كانت وحدات الإطفاء جاهزة للتعامل مع أي حريق ومستعدة في أي وقت لوصل الحال إلى ما وصل إليه ،أن ألف هل لن تجد إجابة وبجانبها ألف لماذا وألف أين وألف علامة استفهام أخرى .

ليس الماس الكهربائي هو ما نحمله كل أخطاءنا وكل خطايانا وليس الماس الكهربائي هو الذي احرق مجلس الشوري حتي وان كانت الشرارة الأولي قد صدرت منه وليس الماس الكهربائي هو الذي ضيع علي مصر ثروة تاريخية وأثرية لا تقدر ، وليس الماس الكهربائي الذي تآمر علي الدولة وأجهزتها هو الذي ضيع مستندات ووثائق ودراسات وخرائط ومخطوطات كان يعمر بها مجلس الشوري ،ليس الماس الكهربائي هو من جعل مصر تعيش بلا سلطة نيابية ليس الماس الكهربائي المسؤول عن تأجيل الدورة البرلمانية القادمة المسئول عن كل ذلك وعما قبله من كوارث ومصايب هو حكومة فاشلة غير قادرة علي التعامل مع أي أزمة ولا تعرف سوي سياسة الجباية ورفع الأسعار لتعويض كل خسائرها وربما ترفع الأسعار لتعويض المبالغ التي سيتم إنفاقها علي إعادة بناء الشوري أو ترميمه أن كان سيرمم .

ماذا كان يحدث يوم زيارة الرئيس لمجلس الشعب

تفتيش ذاتي للنواب وإجبارهم علي المرور عبر أكثر من بوابة إليكترونية .

يتهافت الأعضاء علي دورات المياه بعد انتهاء خطاب الرئيس بسبب «الزنقة».

حركة غير عادية تشهدها أروقة وزوايا وجدران مجلس الشعب المصري خلال الأيام السابقة لزيارة الرئيس وذلك استعدادا لهذه الزيارة السنوية والتي يدعو خلالها الرئيس رسميا مجلسي الشعب والشوري للانعقاد ويلقي خطابه السنوي في

اجتماع مشترك للمجلسين تم بالقاعة الرئيسية بمجلس الشعب.

وتقوم مدفعية المجلس بإطلاق ٢١ طلقة نارية ،وهو إجراء رسمي يتم سنويا سبقته اجراءات أخرى .

ففي كل عام وقبل خطاب الرئيس أمام البرلمان تبدأ الجهات الأمنية في اتخاذ إجراءاتها من تمشيط كل شبر في البرلمان مستعينة بكلاب بوليسية مدربة وأجهزة اليكترونية دقيقة للكشف عن المفرقعات ،كما يقوم عمال الصيانة في المجلس بطلاء أعمدة الإنارة وطلاء الأبواب والمقاعد والمنصة التي سيلقي من عليها الرئيس خطابه كما يتم دهان أسوار المجلس وجدرانه الخارجية ،باختصار يتم تجديد كل شيء قبل حضور الرئيس ،وفي الصباح وقبل وصول الرئيس للمجلس بساعات تبدأ قوات الأمن في الانتشار في شارع القصر العيني وكل الشوارع المجاورة ويسارع النواب بالذهاب إلى البرلمان وقبل وصول الرئيس بساعات ليجدوا لهم مقعدا يجلسون عليه ،فالرئيس يلقي خطابه أمام مجلسي الشعب والشوري وعدد مقاعد القاعة الرئيسية لمجلس الشعب يكفي لاستيعاب نواب الشعب بالعافية فما بالنا إذا انضم إليهم نواب الشوري وقوات الأمن التي تحتل ثلث مقاعد القاعة ويعزف عدد كبير من النواب خاصة نواب الإخوان والمعارضة عن الذهاب إلى المجلس في هذا اليوم حفاظا علي كرامتهم من الزحام والبهدلة ».

تبلغ أمانة المجلس النواب بأنهم إذا أرادوا دخول القاعة في هذا اليوم فعليهم أن يحضروا إلى المجلس قبل وصول الرئيس بثلاث ساعات أو ساعتين علي الأقل ، ويمنعوا منذ دخولهم القاعة وحتي انتهاء خطاب الرئيس من الخروج منها حتي ولو إلى دورات المياه وقد يتكالب بعض النواب علي دورات المياه بعد انتهاء خطاب الرئيس خاصة النواب المصابون بالسكر ولا يستطيعون أن يتحكموا في أنفسهم طول فترة وجودهم في القاعة ».

يمنع النواب من دخول المجلس بسياراتهم ويسير بعضهم مسافات طويلة علي الإقدام بسبب قيامه بركن سيارته بعيدا عن المجلس ،ويقوم النواب بتسليم أجهزة المحمول الخاصة بهم علي بوابة مجلس الشعب ويستلموها بعد انتهاء زيارة الرئيس ،يتم تفتيش النواب تفتيشا ذاتيا ويمرون علي أكثر من بوابة اليكترونية ،يسارع نواب الوطني بالذهاب إلى المجلس في هذا اليوم ليجلسوا في مقاعد نواب المعارضة والإخوان والمستقلين ليصبح نواب المعارضة مبعثرين في القاعة ومحاصرين بنواب الوطني ،وحينما حضرت خطاب الرئيس لأول مرة في حياتي العام الماضي شعرت برهبة فرئيس الدولة له رهبة وهيبة ،والحرس الجمهوري دائم الترقب لأي حركة في القاعة ووجه مبارك غير وجهه في التلفزيون فهو في الحقيقة تبدو عليه علامات الدهر وانفه كبير بشكل ملحوظ ورغم جبروته وهيبته يمكنك أن تشعر أنه أحيانا يكون ابن بلد ويطلق الإفيهات،وأمعنت النظر داخل القاعة لأري من نواب المعارضة يصفق للرئيس مع نواب الوطني فوجدت نوابا من الإخوان يصفقون له علي استحياء ونوابا من المستقلين ،ونوابا من المعارضة يصفقون أكثر من تصفيق نواب الوطني ،ورأيت جمال مبارك نجل الرئيس يجلس في الشرفة بجوار السيد عمر سليمان رئيس جهاز المخابرات وتري ملامح جمال فتشعر من نظرات عينيه وملامح وجهه انه يريد أن يقفز علي مقعد أبيه بأي شكل وتشعر من الغرور الذي يملأ وجهه انه رئيس دولة ،وحينما دخل الرئيس القاعة كان يكون بصحبته الدكتور زكريا عزمي وقيادات الحرس الجمهوري .

حكايتي مع أحمد أبو الغيط :

في صيف ٢٠٠٦ وبعد أن وقعت حرب ال٣١ يوما التي شنتها إسرائيل ضد حزب الله ولبنان بعد العملية النوعية الجريئة التي قام بها حزب الله ضد أهداف إسرائيلية في مزارع شبعا اللبنانية ،كانت الساحة الداخلية ملتهبة بسبب توسيع

إسرائيل لدائرة الحرب لتشمل كل شبر في لبنان وتقدم عددا من نواب الشوري بطلبات مناقشة وطالبوا بعقد اجتماع عاجل للجنة الشئون العربية والخارجية لمناقشة العدوان الصهيوني الهمجي علي لبنان «تذكر في باب وزراء الكعب العالي والواطي حكاية طظ بتاعة عبد الأحد جمال الدين والفقي في حضور أبو الغيط وحكاية رجب حميدة مع أبو الغيط إنت مهياص وحكاية فاروق حسني بعد معركة الحجاب » وعقدت اللجنة اجتماعا ساخنا وترأس الاجتماع صفوت الشريف بنفسه وحضر وزير الخارجية أحمد أبو الغيط واسترسل في الكلام وحكي كلاما خطيرا منها قوله انه اتصل بتسيبي ليفني وزيرة الخارجية الإسرائيلية قبل الحرب بـ٤٨ ساعة ليعرف ماذا ستفعل إسرائيل بعد عملية حزب الله وطلب التهدئة فقالت له ليفني لقد سبق السيف العزل أي أن قرار الحرب قد اتخذ قالها أبو الغيط بكل بساطة دون أن ديرك أن هناك صحافة تسجل كل كلمة يقولها ومعني ما قاله : أن مصر كانت تعرف بقرار وميعاد الحرب ،المهم استرسل الوزير السيادي في سرد تفاصيل وأمور مهمة دون أن يقول لنا أن هذا الكلام ليس للنشر وهذا يعني أن كل ما قاله كان للنشر ووصل أبو الغيط إلى نقطة غاية في الخطورة حينما استهجن دعوات الحرب التي يدعو إليها البعض في الصحف والفضائيات ردا علي الحرب الإسرائيلية فعلق أبو الغيط قائلا «اللي عايز يحارب يروح يحارب مصر طول عمرها بتحارب علشان القضية الفلسطينية والعرب يريدون أن يحاربوا بالدماء المصرية وحتي آخر جندي مصري ، وقررت أن اعتبر هذه الجملة الأخيرة هي العنوان الرئيس للخبر الذي سأكتبه عن اجتماع اللجنة وعن كلام أبو الغيط ،ساعتها كنت محررا برلمانيا في المصري اليوم فطلبني مجدي الجلاد علي وجه السرعة وقال لي إنت متأكد أن أبو الغيط قال الكلام ده قلت له نعم متأكد وعاد وكرر السؤال إنت متأكد فكررت الإجابة فخرج مانشيت المصري

اليوم «أبو الغيط العرب لن يحاربوا بالدماء المصرية وليفني قالت لي سبق السيف العزل» وما أن نزلت المصري اليوم السوق إلا وانهالت الانتقادات الداخلية والعربية لتصريحات أبو الغيط فأرسل تكذيبا لكل الصحف يقسم فيه انه لم يقل فيه هذه التصريحات وأن محرر المصري اليوم يقصدني أنا مغرض ويكتب وفقا لأهوائه الشخصية ونشرت الصحف جميعا تكذيب أبو الغيط ، وأرسل أبو الغيط نص مضبطة اجتماع لجنة الشئون الخارجية بالشوري دون أن يحتوي علي هذه العبارة ، كنت واثقا من نفسي ومما كتبته حتي حينما أرسل أبو الغيط نص مضبطة اجتماع اللجنة دون أن يحتوي علي هذه العبارات وكان واضحا أنه مسحها بكريكتور ، ويبدو أن الوزير تعرض لشدة ودن من القيادة السياسية بسبب هذه التصريحات التي قالها وهو علي سجيته دون أن يلقي لها بالا،بالإضافة إلى الهجوم الضاري الذي تعرض له في الفضائيات بسبب هذه التصريحات ،ولم يكتفي الوزير بذلك فأرسل ردا آخر للمصري اليوم كرر فيه هجومه علي الصحفي الذي كتب الخبر يقصدني أنا دون أن يعرفني أو أعرفه ونشرته المصري اليوم بالكامل بما فيه من عبارات قاسية ضدي ومنها أنني مغرض واكتب وفقا لاهوائي ،اعتقدت أن هذه هي المرحلة الأخيرة في الموضوع ولكنني فوجئت بابو الغيط في حوار مع جريدة الوطني اليوم الناطقة بلسان الحزب الوطني يجدد هجومه علي شخصي فحينما سأله محمد حسن الألفي رئيس التحرير عن مدي صحة ما نشرته المصري اليوم من تصريحات علي لسانه قال فيها : إن العرب يريدون أن يحاربوا بالدماء المصرية فكان رد أبو الغيط «هذا الكلام غير صحيح والمحرر الذي كتب هذا الكلام مدلس وكان لازم الجريدة تفصله».

وحدث وان وجدت عددا من زملائي وزميلاتي في المصري اليوم ينادوني يا مدلس وهم يضحكون فضحكت ولم أكن قد قرأت تصريحات الوزير فأحضروا لي

الوطني اليوم وغلسوا ثانية بأن نادوني يا مدلس يا مدلس هنا شعرت بالحرج أعرف أنهم يضحكون ولكن لابد من إثبات مصداقيتي فواتتني فكرة وهي أن أتقدم ببلاغ للنائب العام ضد وزير الخارجية بتهمة السب والقذف في حقي وهذا هو ابلغ رد علي من سيتهمني أني مدلس أو أفربك أو انقل أقوال غير حقيقة علي لسان الوزراء ،وأخبرت الأستاذ مجدي الجلاد رئيس تحرير المصري اليوم بما سأفعله فوافق وكان الرجل قد كتب مقالا هاجم فيه أبو الغيط هجوما شديدا أثناء أزمة الحرب علي لبنان بسبب ضعف أدائه وقال الجلاد نصا في مقاله «لقد ترك أبو الغيط لبنان تحترق وتفرغ لمهاجمة الزميل محمد أبو زيد».

وبدأت أشعر بأهميتي وأنني علي وشك أن أتحول إلى شخصية عامة ،وهو ما حدث بعد ذلك حينما ذهبت إلى نقابة الصحفيين لمقابلة الأستاذ جلال عارف وكان نقيبا للصحفيين في ذلك الوقت واخترت النقابة لتكون نقطة انطلاقي في معركتي مع أبو الغيط ولم أجد النقيب فهاتفته فطلب مني التوجه إلى الأستاذ سيد أبو زيد المستشار القانوني للنقابة واخبرني انه سيقوم باللازم وهو ما حدث بالفعل حيث قابلني الأستاذ سيد أبو زيد بترحاب وهو رجل بشوش وحبوب وبعد أن استمع إلى طلب مني أحضر الأوراق الخاصة بالبلاغ الذي سيتم تقديمه للنائب العام ومنها نسخة من صحيفة المصري اليوم التي نشرت فيها التقرير الذي اغضب أبو الغيط فشتمني بسببه والصحيفة التي شتمني فيها وأخذنا كل هذه الأشياء وذهبنا إلى مكتب النائب العام وقدمنا بلاغا ضد وزير الخارجية في سابقة هي الأولي من نوعها ونشرت المصري اليوم في اليوم التالي الخبر في صفحتها الأولي بعنوان «بلاغ للنائب العام من محرر المصري اليوم ضد وزير الخارجية » وكتبت الخبر الزميلة مني أبو النصر وانزعج الأستاذ هشام قاسم العضو المنتدب للجريدة وطلب مقالتي وسألني هل أخبرت رئيس التحرير بهذا الأمر أم لا فأخبرته أنني لم أقدم علي هذه

الخطوة إلا بعد أن أخبرت الأستاذ مجدي الجلاد ،ثم انصرفت من مكتب هشام قاسم وما أن نشرت المصري اليوم الخبر إلا وتحولت أنا إلى شخصية عامة ومادة لوسائل الإعلام حيث نشرت مواقع الانترنت الخبر نقلا عن المصري اليوم ، ووضعته الشبكة العربية للمعلومات في صدر صفحتها علي الانترنت وانهمرت علي اتصالات حقوقية وإعلامية تعبر عن تضامنها معي ،ثم جاءت كاميرة برنامج العاشرة مساء إلى مقر المصري اليوم لتسجل معي حول البلاغ الذي تقدمت به ضد أبو الغيط ،وأذاعت المتألقة مني الشاذلي التقرير المصور معي وأسبقته بتقديمها للأسباب التي دفعتني لتقديم بلاغ ضد أبو الغيط ،وبعد انتهاء الحلقة جاءتني كما هو متوقع اتصالات من أصدقائي في الخارج والداخل كلها تقول « أيوه يا عم إنت عديت بتقدم بلاغ ضد وزير الخارجية مرة واحدة ».

واستدعاني مكتب النائب العام لسماع أقوالي في البلاغ وأبدى المحامي العام لنيابات شمال القاهرة دهشته من قيامي بتقديم بلاغ ضد وزير الخارجية وقال لي مازحا «دي اول مرة احقق في بلاغ من صحفي ضد وزير أنا كل مرة يحقق في بلاغات من الوزراء ضد صحفيين لكن المرة دي الآية اتقلبت » ونشرت المصري اليوم خبرا في صفحتها الأولي عن الاستماع إلى أقوالي في بلاغي ضد أبو الغيط « وتواصلت فعاليات القضية وغضب الوزير أحمد أبو الغيط من هذه الخطوة ومنع زميلنا جمعه حمد الله محرر الخارجية من متابعة اخبار الوزارة ،وقال لي جمعه ضاحكا «الله يخرب بيتك الرجل شايط كل ما يشوفني يقول هو محمد أبو زيد بيقدم فيه بلاغ للنائب العام ماشي »وكانت الأنا تتضخم عندي بشكل كبير ولكن بدون غرور مجرد حالة من الزهو لأنني أصبحت أزعج وزير الخارجية ويتحدث عني في كل مكان ،ودارت الأيام مرت الأيام وخفتت الأضواء وتوارت القضية خلف سحابة النسيان وعدت أنا إلى مكاني الطبيعي مرة أخرى عدت لأعمل صحفيا بعد أن

عشت شخصية عامة ومصدر للفضائيات والصحف لعدة أيام وبعد سنة أو سنتين تم حفظ البلاغ وكنت قد نسيته أصلا ،إلا أن وزيرنا الهمام أحمد أبو الغيط لم يكن قد نساه وقال لجمعة أمام محررين من البي بي سي بلاغ محمد ابو زيد أتحفظ لكن انتم طبعا مش هتنشروا الخبر « وعلي الرغم من أني كنت علي يقين أن البلاغ سيحفظ لان هذه هي طبيعة الأمور في بلادي ،إلا أنني أخذت علي خاطري شويه وبعد كده نسيت الأمر برمته وكنت كلما رأيت وزير الخارجية في اي مكان سواء في مؤتمر أو في لقاء صحفي كان يدور بذهني أن أقول له أنا محمد أبو زيد بتاع المصري اليوم لأنه لم يكن يعرف شكلي.

الصحفيون والنواب من الاحترام المتبادل إلى استقدام الساقطات

تتنوع وتتباين علاقة الصحفيين أعضاء شعبة المحررين البرلمانيين بالنواب سواء كانوا نوابا بمجلس الشعب أو نوابا في الشوري ،وتضم شعبة المحررين البرلمانيين عشرات الصحفيين لا يحضر منهم جلسات واجتماعات المجلس سوي ثلاثين صحفيا علي اقصي تقدير

والصحفيون مع النواب عدة أنواع منهم من يتعامل مع النواب علي أنهم سبوبة وجيوبهم وعقولهم غنيمة لابد من تنفيضها ، ويتعامل النواب مع هذا الفريق من الصحفيين علي أنهم خدم أو عمال ترحيلة ،وهذا الفريق من الصحفيين يقوم بعمل تسعيرة تشبه تسعيرة أقفاص الفاكهة والطماطم يعلمها النواب ويحفظونها عن ظهر قلب فالنائب الذي يريد أن ينشر خبرا فتسعيرته كذا إذا كان بصورة أما إذا كان من غير صورة فله تسعيرة أخري وهناك نوع تاني يقوم بعمل طلبات إحاطة للنواب محدودي الثقافة والفكر في مقابل تسعيرة معينة لطلب الإحاطة ،والسواد الأعظم من النواب الذين ينشرون أخبارهم بفلوس هم من نواب الحزب الوطني ،وشذ عن هذه القاعدة نائب أو نائبين من نواب المعارضة يدفعون أموالا لزملاء صحفيين في مقابل نشر أخبارهم ،واخبرني زميل بصحيفة محترمة انه يتقاضي راتبا شهريا ثابتا من أحد النواب مقابل نشر أخباره وتحركاته وأنشطته البرلمانية ،وينتشر هذا الأمر بصورة أكبر وأوقع في مجلس الشوري وهناك عشرات النواب في الشوري ممن يدفعون مقابل النشر ،وهناك صنف آخر من النواب وصنف آخر من الصحفيين تعتمد العلاقة بينهما علي الاحترام المتبادل فالنواب من هذه النوعية واثقين من إمكانياتهم وقدراتهم البرلمانية ويرفضون أن يدفعوا ماليا واحدا مقابل النشر

والصحفيون من هذا النوع محترمون شرفاء يرفضون أن يتقاضوا مليما واحدا من أي نائب أو أي كتلة أو مجموعة برلمانية مقابل النشر ويرون أن هذا هو عملهم الذي يتقاضوا بسببه أجورهم من الصحف التي يعملون بها ،وهذا النوع من الصحفيين تراه معتدا بنفسه واثقا من إمكانياته عينه مليانه علي عكس النوع الآخر عينه مكسورة ويشعر دائما بالدونية ويتعامل بريبة وخفية خشية أن يفتضح أمره ،وهناك نوع ثالث من الصحفيين لا يمارس أي نوع من الفساد المالي أو الأخلاقي إلا انه يمارس الفساد السياسي بكل عبقرية وهدوء وثقة بالنفس ،وهذا النوع اخطر من النوع الأول بكثير لأنه لا يمارس الفساد الظاهر الذي يمارسه الآخرون ولا يجري وراء أشياء تافهة من عينة ٢٠ أو ٥٠ جنيه في الخبر ،ولكن هذا النوع يضع عينه علي ما هو اكبر واخطر وهو أن يكون بوقا ومنبرا مستترا لفريق من النواب تجمعهم مصلحة واحدة ،وقد يقدم خدماته وخدمات الصحيفة التي يعمل بها لنائب واحد فقط ولكنه نائب يوقف البلد برمش ويقعدها بالرمش الآخر ،وأصحاب هذا الفريق يلعبوها بحرفة عالية جدا وغالبا ما يكون هذا الأمر بتنسيق مع رئيس تحرير الصحيفة التي يستهدفها الكبار أو قد يكون كبيرا واحدا أو اثنين في مجلس الشعب ،ويقدم هذا الصنف من الصحفيين نفسه إلى الكبار فتتفاعل الكيمياء وتبدأ لعبة المصالح المشتركة واللعب من تحت الترابيزة دون أن يشعر بذلك احد ،فالكبار لا يحتاجون من هذا الصنف الصحفي أن ينشروا لهم أخبارهم عمال علي بطال مثلما يفعل النوع الغلبان الآخر هم يحتاجونهم فقط في أوقات معينة سواء لصد هجمة من صحف أخرى أو لضرب تيار آخر سواء في المعارضة أو حتي في الوطني نفسه أو لتنفيذ وتهيأة الرأي العام لقرار ما أو لتلميع مجموعة ما مطلوب تلميعها في فترة معينة ليحتلوا الساحة ،وهذا الفريق من الصحفيين يمارس هذا الفساد السياسي بمنطق النفس الطويل فهو لا ينظر لمكاسب تافهة من عينة ال٥٠ جنيه التي يأخذها

التافهون الآخرون ولكن عينه علي كعكة كبيرة أو تورته يجهزها لهم الذين استخدموهم ،والمدهش أن هذا الفريق يرفض رفضا باتا أي انحراف مادي أو أن يتقاضي أجرا أو هدايا من نواب ويعتبر أن هذا الأمر غير أخلاقي ،إلا أنه لا يري أي عيب أخلاقي في اللعب مع الكبار طالما انه لن يحصل علي أموال هو فقط يريد «تيتل» ومنصب وتصعيد في أكثر من اتجاه ،وقد ينقلب السحر علي الساحر ويختلف الكبير أو الكبار مع من صنعوهم علي أيديهم وقد يرغبوا في أن يتحولوا بوجوههم عنهم أما لان هناك صحيفة أخرى قد ظهرت في السوق وفرضت كلمتها وبالتالي فالأولي عند الكبار أن يصنعوا غلاما أو فريق من الغلمان في هذه الجريدة تابعين لهم يأتمرون بأوامرهم وينتهون بنواهيهم ويسيرون علي دربهم ولا يحيدون عنه إلا قليلا ، وقد يكون هناك سببا آخر قد أدي إلى الانفصال بين الكبار وغلمانهم من الصحفيين وذلك حينما يشعر الغلمان أنهم لم يعودوا غلمانا وأنهم أصبح بإمكانهم أن يتمردوا علي أسيادهم لأنهم نصبوا شباكهم ورموها في بحور أخرى ،لان بحور أسيادهم جفت ولم تعد تأتيهم حيتانهم من تلك البحور ،وهناك نوعا آخر من الصحفيين البرلمانيين يلعب بالملايين لا لشيء إلا لأنه يعمل مخلصاتي قبل أن يكون صحفيا فهو يسعي في مناكب الأرض بحثا عن قطعة أرض مش عايزة الحكومة تديها لجمعية أو أي مصلحة أخرى فيأتي لنائب من أصدقائه ليتدخل لحل الأزمة ويتقاسم الاثنين السبوبة ، وهناك صنفا من المحررين البرلمانيين وصل به الانحطاط إلى جلب ساقطات وفتيات ليل للنواب مقابل الحصول علي مبالغ مالية من النائب ولقد اسر إلى بهذا الأمر احد النواب الثقات .

نواب الإخوان والرئيس ونجله

خلال عملي كمحرر برلماني لمدة ٥ سنوات لم اضبط نائبا إخوانيا واحدا متلبسا بالهجوم علي الرئيس مبارك بالاسم أو علي نجله جمال سواء من خلال طلب إحاطة أو بيان عاجل أو استجواب ،كان الإخوان يبتعدون عن هذه المنطقة ويخشون الاقتراب منها نهائيا ،وكان يستبدلون كلمة الرئيس بالنظام أو الحكومة / فذكر اسم الرئيس أو صفته في أي أداة برلمانية عند نواب الإخوان كان من المحظورات الخطيرة ، وكان نواب الإخوان يشفقون علي جمال زهران وسعد عبود لاقترابهم من المنطقة المحظورة بشجاعة يحسدون عليها.

إلى أن جاء النائب الإخواني حمدي حسن وكسر هذه القاعدة وقدم أول سؤال برلماني للرئيس ،بدأت تفاصيل هذه الواقعة حينما قام حمدي حسن . وفي سابقة برلمانية قام حسن بإرسال سؤالا برلمانيا عاجلا للرئيس مبارك عن اختلاط الدقيق بالتراب وطالب النائب الرئيس بان يبر بقسمه الذي اقسمه فيه علي رعاية مصالح الشعب .

كان النائب الإخواني قد أمهل رئيس الوزراء أسبوعا للرد علي الأسئلة العاجلة التي تقدم بها نواب الإخوان خلال الإجازة البرلمانية وأشار النائب في رسالة سابقة للدكتور فتحي سرور رئيس مجلس الشعب إلى انه في حال عدم قيام رئيس الوزراء بالرد علي أسئلته فانه سيقوم بتقديم هذه الأسئلة للرئيس مباشرة باعتباره رئيسا للسلطة التنفيذية ،وحينما انتهت المهلة ولم يرد نظيف أرسل حسن رسالتين أمس الأولي لسرور والثانية لمبارك.

وقال في الرسالة الأولي التي وجهها لسرور «بعد الإطلاع علي المواد ١٣٧و١٣٨و١٤١و١٤٢و١٥٥و١٥٦و١٥٩من الدستور والتي تنص علي تولي رئيس الجمهورية للسلطة التنفيذية وانه يضع الدستور والسياسة العامة للدولة وانه يعين رئيس الوزراء ونوابه والوزراء ويعفيهم من مناصبهم وانه له الحق ولمجلس الشعب في إحالة أي وزير للمحاكمة عما يقع منه من جرائم أثناء تأدية عمله.

«وأضاف حسن » ونظرا لفشل الحكومة وعجزها علي تحمل مسئولياتها وإصرارها علي مخالفة الدستور بتجاهلها الرد علي أسئلة نواب البرلمان ولان اللائحة والدستور لم يحددوا طرقة مساءلة رئيس الجمهورية رغم مهامه المتعددة ولأنه لا أحد إطلاقا فوق القانون فإنني رأيت ومن خلال مجلسنا الموقر أن أرسل رسالة مفتوحة للرئيس أطالبه فيها بتحمل مسئولياته الدستورية والقانونية».

واعتبر حسن أن رسالته فرصة لكل المصريين من طلاب وشيوخ وأطفال ونساء وعمال للتعبير عن غضبهم تجاه السياسات الحكومية والأمنية.

وفي الرسالة الثانية التي وجهها النائب الإخواني لمبارك والتي اسماها «رسالة مفتوحة رقم ١ للسيد رئيس الجمهورية».

قال حسن «لن نتحدث عن مشكلة رغيف الخبز ولا عن القمح الفاسد ولا عن محاسبة المسؤولين عن استيراده والعمولات التي حصلوا عليها ولا عن قيام الحكومة باتخاذ سياسات معاكسة للأمن القومي بزرع الكنتالوب بدلا من القمح »

وتابع«المشكلة يا سيادة الرئيس أن الدقيق ورغم انه غير صالح للاستهلاك الآدمي إلا انه مخلوط بالتراب بل هو تراب مخلوط بالدقيق ».

واختتم النائب رسالته بقوله «الشعب يسف التراب يا سيادة الرئيس فباشر مسؤولياتك وبر بقسمك» وطالب حسن الموافين المتضامنين معه بإرسال رسالة

خاوية على بريده الالكتروني.

وفي رسالته الثانية التي بعثها إلى الرئيس محمد حسني مبارك انتقد الدكتور حسن استقبال الرئيس مبارك لشيمون بيريز رئيس إسرائيل بحفاوةٍ في وقتٍ قال عنه النائب نشهد فيها انتهاكات واعتداءات صهيونية وهجمات مستمرة من المستوطنين على المسجد الأقصى الأسير والأنفاق التي تحفر تحته لمحاولة إضعاف بنيانه في محاولةٍ لهدمه وبناء ما يُسمى بالهيكل المزعوم بدلاً منه.

وقال حسن في رسالته: «في الوقت الذي يقوم فيه المستوطنون بالاعتداء على أشقائنا الفلسطينيين وهدم وحرق منازلهم في القدس وعكا وبقية مدن فلسطين المحتلة تحت سمع وبصر وحماية قوات الاحتلال الصهيونية، وفي الوقت الذي تشدد فيه مصر الحصار على أشقائنا في غزة بشتى الوسائل والطرق مساندةً لعدونا الصهيوني تستقبل -سيادتكم ومصر الرسمية- رئيس دولتهم المدعو بيريز بحفاوةٍ بالغةٍ وغير مسبوقة، مما أثار غضب وحنق الشعب المصري».

وشدد حسن على رفضه هذه الزيارة من حيث المبدأ، كما أعلن رفضه الحفاوة التي استقبل بها هذا الصهيوني رئيس دولتهم، وقال: كان يجب على الدولة المصرية وسيادتكم على رأسها مراعاة شعور الشعب المصري الذي انتخبكم، واحترام مطالبه، وفي مقدمتها غلق السفارة وطرد السفير لا استقبال رئيسهم بتلك الحفاوة المرفوضة.

وطلب حسن من مبارك ألا يستقبل الصهاينة على الأرض المصرية مرة أخرى، ودعاه إلى العمل على فك الحصار المضروب على غزة، وفتح معبر رفح للمرور القانوني والطبيعي للأفراد والبضائع، مذكره بأن التاريخ سيسجل ولن يرحم أحدًا.

وقال حسن مخاطبًا الرئيس مبارك: «هل فكرت وخططت كيف ستحرر القدس والمسجد الأقصى؟ أم أن هذا الموضوع خارج حساباتك حاليًا ومستقبلاً؟ لافتًا إلى

أن ترحيب الرئيس مبارك بالضيف الصهيوني واكبه إلقاء الشرطة المصرية القبض على عشرات المصريين الشرفاء المشاركين في حملات المطالبة بفك الحصار عن غزة

وحينما اشتد تآمر مبارك علي غزة انفجر نواب الإخوان وقرروا تعدي كل الخطوط وهتفوا ضد مبارك بحرقة بسبب جرائمه في حق غزة وفي حق الشعب الفلسطيني بكامله وقاد هذا الهجوم الدكتور محمد البلتاجي .

والبلتاجي واحدًا من أشرف السياسيين وأكثرهم جرأة على قول الحق في وجه الظالمين كما أنه يمتلك كاريزما خاصة في قيادة الجماهير .

obeikan.com

العصابة وساعة الصفر

«هذا الجزء من الكتاب تمت كتابته بعد انتخابات ٢٠١٠ بجولتيها الأولي والثانية ولو كان الناشر السابق «سامحه الله» قد نشر الكتاب الذي انتهيت منه قبل الانتخابات بشهرين لاعتقد كل من يقرأ الكتاب أنني كنت اضرب الودع أو أن لي اتصالات اليكترونية بالعوالم السفلية ،لأنني كررت أكثر من مرة في الكتاب سواء بالتصريح أو بالتلميح أن هناك نوابا سيعاقبهم مديروا ورؤساء مجالس إدارة مصر «العصابة» واقصد مصر الدولة مش شركة مصر للبسكويت والألبان علي مشاغباتهم وجرأتهم وتعديهم للخطوط الحمراء تحت القبة وخارجها ،قلت تصريحا أن النظام لم يحتمل وجود إشراف قضائي كامل علي الانتخابات فقرر تعديل المادة ٨٨ والغي الإشراف القضائي فشعر نواب الإخوان والمعارضة والمستقلين باليتم والحزن ،قلت أن نوابا مثل جمال زهران وسعد عبود وحمدين صباحي ومصطفي بكري وطلعت السادات ومحمد العمدة وعلاء عبد المنعم وكل نواب الإخوان لن يروا المجلس لسبب أو لآخر ،فالإخوان مطلوب إزاحتهم من مجلس الشعب بأوامر عليا أما غالبية المشاغبين من المعارضة والمستقلين فكانت رغبة احمد عز هي السبب في إسقاطهم في الانتخابات أما لأنهم دخلوا معه في ملاسنات وصراعات شخصية وإما أنه رأي أن وجودهم في برلمان ٢٠١٠ من شأنه أن يعكر صفو المشهد السياسي الذي خطط له أعضاء مجلس إدارة مصر في الفترة المقبلة .

ومع أنني كنت متأكدا أن نوابا بعينهم من المستقلين لن يروا عتبات البرلمان مرة أخرى وان كل نواب الإخوان لن يحملوا كارنيه عضوية مجلس الشعب مرة أخرى لدرجة أن بعضهم استقدم أسرته وأبناءه في الأيام الأخيرة للبرلمان وطاف بهم في

طرقات المجلس ليلقوا النظرة الأخيرة علي المكان الذي كفل لهم الحصانة والهيبة والبرستيج لمدة خمس سنوات بل أن بعض النواب من المستقلين المغضوب عليهم أحيانا والإخوان المغضوب عليهم دائما سالت من عينه دموع لا إرادية في الجلسة الأخيرة لمجلس الشعب لأنهم كانوا واثقين أنهم لن يعودا إلى هذا المكان مرة أخرى ، ولكن أكثر المتشائمين لم يتوقع أن تتم الانتخابات بهذه الطريقة الاستئصالية التي طالت الجميع حتي الذين غازلوا النظام وعملوا لحسابه لفترات طويلة ،لم يستثنوا أحدا ،علقوا المشانق الانتخابية للجميع حتي من لم يكن ولائه كاملا أو كان منقوصا أو شبه منقوص فرموه«كفته» وأسقطوه ،وتمت العملية بشكل أثار دهشة العالم بكامله ،ففي يوم الانتخابات كان المشهد مغايرا تماما عن كل المشاهد السابقة في أي انتخابات مصرية ،فلا أمن مركزي يحيط باللجان ولا امن دولة يترقب وجوه الناخبين ،ولا لجان مغلقة ولا بلطجية بالشكل المعروف الذي ظهروا به في الانتخابات السابقة يقفوا أمام اللجان لإرهاب الناخبين ،شعر الناخبون والمرشحون حتي المعارضين منهم أن مصر قررت فجأة أن تصبح دولة شفافة وتجري انتخاباتها بنزاهة تامة وحياد تام للأجهزة الأمنية وكان كل ذلك مقصود في حد ذاته ،فالصحف الخاصة والفضائيات تنتهي من إعداد تقاريرها عن الانتخابات قبل الساعة الرابعة أو علي أقصي تقدير في الخامسة مساء وكانت الخطة تعتمد علي أن يبدو المشهد الانتخابي في الطبعة الاولي لهذه الصحف وفي برامج التوك شو كما لو أننا أصبحنا في ألمانيا أو الهند أو في انتخابات الرئاسة الأمريكية ،وفي ساعة معينة تم الاتفاق عليها مسبقا وهي ساعة الصفر وبعد أن تكون الفضائيات قد سجلت ما سجلته من لقطات للهدوء الذي شاب العملية الانتخابية وبعدما تكون الطبعة الأولي للصحف في المطابع تتحدث عن يوم ديموقراطي جميل ودافيء لدرجة أن نواب الإخوان ومنهم سعد الكتاتني رئيس الكتلة البرلمانية للجماعة ظهر في برنامج

٩٠ دقيقة وهو يشيد بالأجواء التي جرت فيها العملية الانتخابية «بعض الدوائر الساخنة هي التي شهدت تقفيل وتزوير منذ بداية الصباح» ،وبعد هذا الهدوء تهب عاصفة التقفيل والتزوير بأقصي قوة ممكنة لتقتلع المشهد السابق من جذوره وتستبدله بمشهد كئيب اسود،في تمام الساعة الخامسة بدأ الأمن التحرك الناعم لم يستغرق الأمر أكثر من ربع أو نصف ساعة علي أقصي تقدير اخرج ضباط الأمن جميع المندوبين خارج اللجان وفي دقائق معدودة قام شباب ورجال وموظفين وموظفات بملىء الصناديق ببطاقات انتخابية مسودة لصالح مرشحي الحزب الوطني ،كان عدد هؤلاء الشباب والموظفين التابعين أما للحزب الوطني وأما لأجهزة أخرى لا يتعدي ال٢٠٠ شخص في كل دائرة وتمت هذه العملية في كل الدوائر في الفترة من الساعة الخامسة وحتي الساعة السابعة ،أبو زميلة صحفية لنا في جريدة الشروق كان رئيسا لإحدي اللجان وحكي لها انه في تمام الساعة الخامسة جاء له أحد ضباط امن الدولة وطلب منه الخروج خارج اللجنة فرفض الرجل فقام الضابط وأمام والد زميلتنا بوضع ١٥٠ بطاقة انتخابية مسودة في صندوق الانتخابات العادي ومثلهم في صندوق الكوته وكانت البطاقات مسودة بالكامل لصالح مرشحي الحزب الوطني ،وقامت الزميلة أسماء بدوي وهي من الغربية وكانت تغطي الانتخابات في دائرة المعهد الفني بشبرا التي كان الدكتور بطرس غالي يخوض الانتخابات فيها ممثلا للحزب الوطني بالذهاب إلى احدي اللجان وطلبت من مسؤول اللجنة أن تنتخب غالي وأخبرته أن بطاقتها من الغربية وان اسمها ليس موجودا في الكشوف فقال لها «وإيه يعني يا بنتي طالما هتنتخبي معالي الوزير يبقي خلاص واحضر لها بطاقة انتخابية وطلب منها التصويت لصالح الوزير » .

حينما بدأت الأنباء تتوالي بان مقصلة التزوير نصبت أدرك نواب الإخوان الخديعة التي وقعوا فيها حينما وافقوا علي الاشتراك في هذه المسرحية الهزلية أدركوا

أن الذين طالبوا بمقاطعة الانتخابات لأنها بلا ضمانات كانوا محقين ١٠٠٪ إلا أن النواب المستقلين كان لهم رأي آخر وأصروا علي إكمال المعركة حتي آخر نفس ، فالمستقلون ومنهم جمال زهران وسعد عبود وعلاء عبد المنعم وحمدين صباحي تلقوا وعود علي حسب قولهم لكاتب هذه السطور من شخصيات سيادية أن تتم الانتخابات في دوائرهم بطريقة نزيهة وشفافة وعادلة وألا يكون هناك أي تزوير أو تلاعب ،وكما قالوا لي فان الشخصيات أو الجهات السيادية اخبروهم قبل الانتخابات أنهم معارضة موضوعية محترمة وانه مطلوب وجودهم في البرلمان ،لم يصدق هؤلاء النواب أنفسهم فبدؤوا بإجراء اتصالات بالجهات والشخصيات التي وعدتهم بان النزاهة ستكون سيد الموقف في دوائرهم وشاهدت بنفسي الدكتور جمال زهران نائب شبرا الخيمة المستقل وهو يجري اتصالات بشخصيات هامة رفض الإفصاح عن هويتها وعن طبيعة عملها وهو يخبرهم بانفعال مخلوط بالرجاء عن المدارس واللجان التي يتم فيها التزوير لصالح مرشحي الحزب الوطني ، ووعدته هذه الشخصيات بالتصرف ، ،ومع بداية الفرز ظهرت الخديعة ،وتوالت الأنباء عن سقوط رموز ونجوم البرلمان جمال زهران سقط من الجولة الأولي وأعلنوا أن حمدين صباحي دخل إعادة مع انه انسحب احتجاجا علي التزوير إلا أنهم عادوا وأعلنوا أنه سقط وكذلك فعلوا مع سعد عبود ومصطفي بكري ومحمد مصطفي شردي وكل نواب الإخوان ،في يوم الأحد ذهب الكثيرون إلى بيوتهم وهم مطمئنين أن مصر دخلت مرحلة جديدة في تاريخها هي مرحلة الانتخابات النزيهة وصباح يوم الاثنين فاق الجميع علي الكابوس كابوس صفر المعارضة بكافة أطيافها «الوفد صفر الإخوان صفر كبير التجمع صفر بشرطة المستقلون الذين وعدوهم الكبار بالنزاهة ولم يتمكنوا من تحقيق وعدهم صفر أكبر »،لم يصدق أحد نفسه ،وقف الطير علي رؤوس الجميع ،الدكتور سيد البدوي وجد نفسه في ورطة كبيرة قد تهدد

ما تبقي من مستقبله السياسي فكل مرشحيه سقطوا في الانتخابات باستثناء سفير نور ومسعد المليجي وله ٦ نواب في الإعادة ،تخيلت موقف البدوي وهو يجلس مع نفسه ليقول لها «كل الجماهير الوفدية غاضبة ولو وافقت علي تكملة دور المحلل قد يفتكوا بي ويخرجوني من الوفد بنفس الطريقة التي خرج بها نعمان جمعة ولو قررت التحدي قد يخرجوا لي نعمان جمعة من تحت الأرض لينازعني علي رئاسة حزب الوفد أو قد يحركوا محمود أباظة أو غيرهما فالوفد منذ سنوات تحت ضرس قيادات الوطني وقد يجمدوا الحزب أو قد يستخدموا الضرب تحت الحزام في استثماراتي وشركاتي وقنواتي ،يخرج صوت آخر من قلب السيد البدوي ليقول لا أنهم خانوا كل العهود والمواثيق العلنية والسرية لقد زوروا ببجاحة وغباء منقطع النظير ولا يجب أن تمر الجريمة مرور الكرام احتمي بالوفد والوفديين والشارع الغاضب » وبشجاعة يحسد عليها اخذ البدوي قرارا بمقاطعة الجولة الثانية من الانتخابات وهو موقف قد يدفع البدوي ثمنه في القريب العاجل مع إصراره علي إكمال الطريق إلى آخره ،وكان مصطفي بكري هو الآخر غير مصدق لما جري معه وكان شديد الحزن لما أصابه خاصة انه كان علي علاقة وثيقة جدا بأهم رموز النظام ،ولكنه أدرك أن الذين أداروا العملية الانتخابية أداروها بمنطق الانتقام سواء كان احمد عز هو الذي أدارها أم غيره إلا أن بكري يدرك جيدا أن عز تحديدا هو السبب في سقوطه بدافع التشفي فيه ،أما الأكثر غرابة في هذه الانتخابات هو ما حدث مع مرشحي الوطني من أمثال الدكتور مصطفي السعيد وزير الاقتصاد الأسبق ورئيس اللجنة الاقتصادية والدكتور شريف عمر رئيس لجنة التعليم ،وأحمد أبو حجي النائب السوهاجي المعروف ،وغيرهم ممن استغني عنهم الوطني وأسقطهم مع من سقطوا ، ولان العقلية التي ادارت الانتخابات عقلية انتقامية فلم ينسوا للسعيد موقفه من قانون مشاركة القطاع الخاص في أعمال البنية الأساسية والذي كان عز يدافع عنه

باستهاته ووصفه السعيد بأنه يهدد الأمن القومي ولم ينسوا لأبو حجي تصريحاته النارية تحت القبة وفي اللجان والتي كان يقول فيها أن البلد رايحة في داهية وان الثورة قادمة ورفضه لقانون الطوارئ ولم ينسوا لشريف عمر وحمدي السيد رئيس لجنة الصحة علاقتهم الطيبة بنواب الإخوان والمعارضة ،ولم ينسوا لنواب الوفد انه أحيانا كانوا ينضموا لنواب الإخوان في بعض المواقف ،أنهم انتقموا من الجميع فجاءت النتيجة كارثية وفضيحة أمام العالم كله لدرجة أنهم حاولوا بكل السبل منع الوفد من الانسحاب بعد أن أدركوا أن ما قاموا به فضيحة كبري ،ولذلك كان التزوير في المرحلة الثانية لصالح نواب المعارضة الذين وافقوا علي خوض جولة الإعادة حتي يخففوا من حجم الفضيحة فزوروا للتجمع وزوروا للنائب الإخواني الوحيد مجدي عاشور .

مشهد الغروب

مبارك ممنوع من السفر وعز على البورش والعادلي في الزنزانة

سبحان المعز المذل ،شتان ما بين مشهد الشروق ومشهد الغروب ،شتان ما بين قوة وجبروت وطغيان مبارك وعصابته وكهنته وهم في السلطة وبين مبارك بعد أن خلعه شعبه وأجبرته قواته المسلحة علي التنحي وأجبرته الجماهير الغاضبة علي أن يترك قصوره وضياعه وخدمه وحشمه وحرسه ويذهب إلى جمهوريته الثانية في شرم الشيخ وينتهي به المقام إلى أن يصبح ممنوعا من السفر وقد يدخل القفص هو وزوجته وأولاده ليحاكموا علي ما اقترفوه في حق مصر التي أذلوها وأهانوها ، شتان ما بين عز حينما كان إمبراطورا للحديد والسياسة وبين عز في مشهد الغروب حينما دخل السجن ذليلا لينام علي البرش بعد أن كان ينام علي الحرير وعلي المليارات وشتان بين العادلي الذي اعتقد أنه سيصبح وزيرا لداخلية مصر إلى أن تقوم الساعة فطغي وتجبر وتكبر واستبد واستعبد علي الرغم من تفاهته ومراهقته المتأخرة وبين العادلي في مشهد الغروب مسجونا بعد أن كان سجانا معتقلا بعد أن اعتقل مصر كلها خلف قضبان القهر والذل والخوف .

كان مبارك يعتقد في قراراة نفسه أن مصر لن تنتفض فرئيس مخابراته عمر سليمان اشتغل علي سيكولوجية الشعب المصري لأكثر من عقدين من الزمان كانت مهمته هو وحبيب العادلي وزكريا عزمي والأجهزة المعاونة هي ربط الشعب المصري بكافة أطيافه في الساقية ليظل يدور حول نفسه جعلوا كل واحد منا مهموما بالغد ومتمحورا ومتمترسا حول ذاته ،كل واحد منا كان همه هو تحقيق حلمه وطموحه الشخصي ،هناك من كان حلمه أن يجد قوت يومه وهناك من كان حلمه أن يجمع بين الثراء والنفوذ في ساندوتش واحد، وسخر عمر سليمان وقته ومجهوده لكي

يدور كل المصريين في هذا المضمار مضمار الحلم الشخصي لكي ينسي الجميع مصر فتصبح مصر بلا صاحب فيستولي عليها مبارك وابنه إلى الأبد ،هكذا سولت لهم أنفسهم وعمل مبارك خلال العشرين سنة الأخيرة من حكمه علي تفريغ مصر من الرموز ليصبح هو مصر ومصر هو ليعيد إلى مصر فروعنيتها فالمصريون ينظرون إلى الفرعون باعتباره رمز الاستقرار وبدونه لن تكون هناك دولة ولن يكون هناك شعب ،ومبارك فرعون مصر والعادلي وعمر سليمان وصفوت الشريف وفتحي سرور ومفيد شهاب وزكريا عزمي هم كهنة الفرعون منهم من كان هامان أو كلهم كانوا هامان وهناك آخرين لعبوا دور يويو مهرج الفرعون من أمثال ممتاز القط وأسامة سرايا وباقي العصابة،لم يصدق مبارك أن الشعب يمكن أن يخرج من الساقية التي ربطه فيها ،فأخذته العزة بالإثم وظل يكابر ويعاند حتي لقي مصيره الذي يستحقه.

اعتقد مبارك في البداية أن ما حدث في تونس لن يحدث في مصر وأن ما حدث مع بن علي من آخر المستحيلات أن يتكرر معه وأوحي إلى حوارييه أن ينشروا عبارة مصر ليست تونس إلا انه كان خائفا ومرتعدا ،فما حدث في تونس صدمة مرعبة له ولغيره من الطغاة ،أوهمه حبيب العادلي أن الأمور كلها تحت السيطرة و أسر إليه أن مخطط التوريث الذي انشغلت به كل أجهزة الدولة لعشر سنين كاملة كانت سنين عجاف علي مصر سار كما هو ، ،وحينما وقعت أحداث ٢٥ يناير سيطر الرعب علي العادلي فهو يعرف مبارك جيدا فمبارك أمام الكاميرات غير مبارك خلفها ،عقد العادلي اجتماعا مع مرؤوسيه وبخهم وشتمهم وأهانهم لأنهم أوهموه هو الآخر أن الدعوة إلى يوم الغضب لن يستجيب لها إلا شوية عيال من بتوع الفيس بوك وان الامن المركزي لما يقلهم بخ هيعملوها علي روحهم ، أصدر العادلي توجيهاته بالتعامل بكل حزم وقوة مع المتظاهرين وسحلهم في الشوارع وإطلاق

النار والرصاص الحي عليهم إذا خرجوا يوم الأربعاء وكانت هذه التعليمات قد تلقاها العادلي من مبارك نفسه الذي أمره أن يضرب المتظاهرين بالنار لان استمرار المظاهرات لليوم التالي يعني أن الأمور قد تفلت من يد العصابة الحاكمة ،خرجنا يوم الأربعاء وطاردونا في الشوارع بكل قسوة وحينها جاء يوم جمعة الغضب وبمجرد أن سلم أئمة المساجد التي انطلقت منها الثورة السليمة الثانية من الصلاة هتف الملايين في جميع المساجد بكلمة السر «الشعب يريد إسقاط النظام » كان هتافا من القلب وصدقه العمل الكل كان يهتف بحرقة وبدموع صادقة قاصدا الهتاف بمبناه ومعناه ،أقسمت ساعتها أننا سنسقط نظام مبارك،وبعد أن سالت الدماء وسقط الشهداء أصبح بيننا وبين مبارك ثأر ودماء وكان من المستحيل التراجع ، وروت دماء الشهداء ارض الميدان فاقسم الثوار أنهم لن يبرحوا مكانهم حتي تسقط العصابة الحاكمة،حاول مبارك بكل الأساليب أن يبقي حتي آخر نفس ضحي بكلابه المقربين واحدا تلو الآخر وبدأ بالعادلي فهتف الثوار مش هنمشي هو يمشي « استمر مبارك في تقديم التنازلات فرد عليه الثوار «ارحل يعني امشي ياللي مبتفهمشي » استخدم الترهيب وأرسل طائرات حربية فوق رؤوس المتظاهرين ليقذف الرعب في قلوبهم فزادتهم إيمانا ويقينا وثباتا أرسل الجمال والبغال والخيول والحمير والقناصة ليحرقوا الميدان فأعلن الثوار الجهاد وتصدوا لهم بصدورهم العارية وسالت دماؤهم الزكية فحمت هذه الدماء الطاهرة الثورة ، وتساقط رجال الطاغية واحدا تلو الآخر إلى أن سقط هو نفسه ومعه رأس الأفعي عمر سليمان في ضربة واحدة وانتصر الشعب المصري لأول مرة في تاريخه علي الفرعون دون أن يرسل الله إلينا نبي الله موسي لان سيدنا محمد كان آخر الأنبياء.

ولكن من الذين أسقطوا مبارك؟

كل من ورد ذكرهم في هذا الكتاب هم الذين أسقطوا مبارك ، وزكريا عزمي وجمال مبارك وصفوت الشريف وفتحي سرور ومفيد شهاب وعمر سليمان وحبيب العادلي وأحمد عز وكمال الشاذلي وعلي الدين هلال ومصطفى بكري ومصطفى الفقي ومرتضى منصور ورجب حميدة ومحمد البلتاجي وحمدي حسن وحسين إبراهيم وأشرف بدر الدين وفريد إسماعيل وسعد الحسيني وجمال زهران وسعد عبود وحمدين صباحي ومحمد العمدة وصفوت حجازي وعلاء الأسواني وحسين عبد الغني وجميلة إسماعيل والشهداء والثوار والأحرار والأشرار والأبرار والفجار والمنافقين والمتحولين والأفاقين والمناضلين والمتماسكين والثابتين على الحق والكهنة والمرتزقة كل هؤلاء اختلفوا في كل شيء واجتمعوا على شيء واحد وهو : إسقاط مبارك ، وسبقهم جميعًا مبارك نفسه بعناده وغروره وعنجهيته وجهله بسنن الله في كونه وباعتقاده أنه قادرًا على تحدي إرادة الله وحكمته وقدرته .

فالمنافقون وهم يعرفون عدد البطحات التي في رؤوسهم أسقطوا مبارك بنفاقهم ودنسهم وكذبهم ورياءهم وانبطاحهم وبلعقهم في كل الأطباق وبكرههم للحق وحبهم للباطل ، والكهنة من رجال مبارك أسقطوه بإيهامه أنه إله وإشعالهم للمباخر حوله من كل اتجاه حتى أعمته الأدخنة والرياح الخبيثة التي تخرج من أفواههم فشرب أفكارهم المسمومة واعتقد أنه الفرعون الذي يجب أن تركع له مصر مع إشراقة كل شمس تسجد له عند الغروب .

أفسدوه وأفسدهم انطلقوا ليحلبوا مصر وينهبوها فسبقهم ، تركهم ينهبوا ويسلبوا ويفسدوا لأنه كان رب البيت الذي أمسك بالدف .

أسقطوه بقلوبهم المريضة وأرواحهم الخبيثة والشهداء والشرفاء والثوار

وأصحاب المبادئ والقيم .

أسقطوا مبارك بدمائهم الزكية النقية وبأرواحهم الطاهرة وقلوبهم الصادقة.

أسقطوه بثباتهم وشجاعتهم ، أسقطوه بقول الحق والثبات عليه .أسقطوه بحب الشهادة في سبيل الله والوطن وبكلمة سر اسمها : «ميدان التحرير » .

obeikan.com